تنظيم الدولة الإسلامية : بين المقاربات التفسيرية والواقع الاستراتيجي

الأستاذ بلخيرات حوسين

أستاذ مساعد أ – قسم العلوم السياسية- جامعة الجلفة

ارتبط تأسيس تنظيم الدولة الاسلامية بالاحتلال الأمريكي للعراق ، أي باعتباره فرعا لتنظيم القاعدة في منطقة الشام يضاف إلى باقي الفضاءات النزاعية التي خلقها هذا التنظيم لاستهداف المصالح الأمريكية والغربية بصورة عامة ، ومع ذلك يلاحظ أن هناك تطور مهم قد حدث في هذا التنظيم سواءا من حيث طبيعته ، أو من حيث سلوكه النزاعي ، أو من حيث أهدافه الإستراتجية وهذا لا يتعلق فقط بشخصية أبو بكر البغدادي أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة بغداد سابقا ولكن أيضا بمجموعة من التحولات الإستراتجية التي حدثت في منطقة الشرق الأوسط ومنها الصعود الشيعي المعتمد على الإستراتجية الإقليمية الجديدة لإيران والتي هدفت إلى استغلال الفراغ الاستراتيجي الذي خلفه الفشل الأمريكي في العراق ، ومن جهة أخرى مراجعة الولايات المتحدة لسياستها اتجاه منطقة الشرق الأوسط والتي توجت باعتماد مبدأ القيادة من الخلف والذي يعكس رغبة ولايات المتحدة في اعتماد إستراتجية تدخل غير مباشر اتجاه قضايا المنطقة ، ثم يضاف إلى ذلك الحراك الثوري العربي وما خلفه من حالة فشل في العديد من الدول .

إن كل هذه السياقات الجديدة أثرت في اتجاه تبلور نمط سلوكي جديد لتنظيم الدولة الإسلامية على المستويات العقيدية والتنظيمية والسلوكية ولذا فهي تبرر الطابع الإشكالي لمحاولة تقديم قراءات تفسيرية لتنظيم الدولة الإسلامية وهذا يعني أننا أمام إشكالية مركبة تشمل المكونات التالية : أ- النماذج التفسيرية لظاهرة الإرهاب الدولي والتي تم طرحها لفهم ظاهرة الارهاب الدولي في صورة تنظيم القاعدة ومدى قدرتها على تفسير النمط السلوكي لتنظيم الدولة الإسلامية ، ب- محددات القطيعة بين تنظيم الدولة الاسلامية وتنظيم القاعدة وحجم القيمة المضافة لتنظيم الدولة الإسلامية في تطوير ظاهرة الإرهاب الدولي ، ج- دلالات المقاربات التفسيرية لظاهرة داعش وكيفها يمكن ضبط طابعها المقارن .

على هذا الأساس فان التطرق لموضوع تنظيم الدولة الإسلامية يستفز الخصائص الإدراكية كما يستفز الأدوات التحليلية وذلك لان مدار هذه الدراسة يتمحور حول محاولة تفكيك الإشكال غير الخطي التالي : هل تمثل داعش تطورا في ظاهرة الإرهاب الدولي أم أنها مجرد تكيف مع التحولات الإستراتجية العميقة في منطقة الشرق الأوسط ؟ . إن مضمون هذا الإشكال وعطفا على أهمية الجوانب الإدراكية والعملية للموضوع يستدعي المناقشة في المحاور التالية :

أولا: التأسيس المعرفي لفهم ظاهرة تنظيم الدولة الإسلامية.

ثانيا : القدرة التفسيرية للنماذج التقليدية في فهم ظاهرة تنظيم الدولة الإسلامية.

ثالثا: محددات القطيعة بين تنظيم الدولة الإسلامية وتنظيم القاعدة.

رابعا- دلالات المقاربات التفسيرية لتنظيم الدولة الإسلامية.

المحور الأول: التأسيس المعرفي لفهم ظاهرة داعش

إن تقديم قراءات تفسيرية لظاهرة داعش يحتاج إلى تأسيس معرفي حول هذا الموضوع الذي يستفز كما ذكرت سابقا الجوانب الإدراكية والأدوات التحليلية أيضا ولذا فان بناء السياق المعرفي لفهم النمط السلوكي لتنظيم الدولة الإسلامية يشمل المتقابلات المعرفية التالية :

أ- **تنظيم الدولة الإسلامية بين التفسير الحتمي والتفسير الوظيفي:** إن تناول موضوع تنظيم الدولة الإسلامية يستفز كل أنواع التفسيرات « فهناك تصنيفات عديدة لأنواع التفاسير ومن أشهر هذه التصنيفات ذلك الذي يفرق بين التفسير الحتمي الذي يفسر الظواهر والسلوكات ارتباطا بالشروط الموضوعية التي أدت إلى حدوثها أي أن الشيء المراد تفسيره هو نتيجة حتمية لتشكل هذه الشروط ، أما التفسير الوظيفي فهو الذي يفسر الظواهر والسلوكات على أساس الأدوار الوظائف التي تؤديها في الواقع الاجتماعي أي أن الشيء المراد تفسيره هو انعكاس لوظيفية واقعية معينة له » [1] ، فالتحولات الإستراتجية الجديدة في منطقة الشرق الأوسط توفر من جهة الشروط الموضوعية لهذا النمط السلوكي الجديد لتنظيم الدولة الإسلامية ويصبح اتجاه التفسير في هذه الحالة حتميا على أساس أن هذا النسخة الحالية لتنظيم داعش هي نتيجة حتمية لتلك التحولات ، ومن وجهة نظر مقابلة فان ظاهرة الإرهاب الدولي كما هي مجسدة في صورة تنظيم القاعدة قد انفتحت على مضامين النشاط الاستخباراتي وهذا لا يمكن تجاهله أيضا في أي محولة لتفسير ظاهرة داعش وبذلك فان اتجاه التفسير يصبح اتجاها وظيفيا على أساس أن التطورات الحالية في تنظيم داعش تعكس القيام بادوار محددة خدمة لمصالح إستراتجية .

ب- **تنظيم الدولة الإسلامية بين التفسير الصحيح والتفسير النافع :** هذا التفريق الرائع الذي طرحه باريتو بين النظريات الصحيحة والنظريات النافعة أي بين النظريات التي تحول تقديم تفسير علمي للظواهر والسلوكات الواقعية المختلفة وبين النظريات التي يمكن إدماجها في سياسات واستراتجيات الدول ، « وبحسب باريتو فان بعض الأفكار والظواهر والسلوكيات تصبح مؤثرة ليس لأنها صحيحة ولكن لأنها نافعة أي تخدم مصالح اجتماعية » [2] وعطفا على مضامين التفريق السابق بين التفسير الوظيفي والتفسير الحتمي فان موضوع داعش ينفتح أيضا ولمجموعة متقاطعة من المبررات على هذا التقابل بين التفسير النافع والتفسير الصحيح إذ يستند كلا الاتجاهين إلى معطيات واقعية تبررها .

ج- **تنظيم الدولة الإسلامية بين التفسير التبريري والتبرير التفسيري :** إن احد القواعد الابستمولوجية المهمة تفيدنا بان معالجة الظواهر السلبية يقلص الفجوة بين التفسير والتبرير ، « فهناك علاقة قد تنشا أو قد يسبق اليها الوعي بين التفسير وبناء الموقف من القضية آو لنقل التبرير فالتباس العلاقة بين التفسير والإدانة هو السبب وراء الرفض الشديد لمحاولة تفسير دوافع الذين قاموا بعمليات 11 سبتمبر بحجة أن التفسير يعني التبرير والإرهاب لا يمكن تبريره ولا قيمة للنظر إلى دوافع

[1] - P.Humphreys, Explication, in Encyclopédie philosophique universelle, les notions philosophiques, PUF, 1 ère édition, *août*, 1990 p 931

2 ريمون بودون. العلوم الاجتماعية والنسبيتان. ترجمة محمد مصباح. مجلة اضافات. ع 13. شتاء 2011. بيروت ك مركز دراسات الوحدة العربية

القائمين عليه » [1] فتنظيم الدولة الإسلامية مهما كانت طبيعة التحولات التي أحدثها في تطوير ظاهرة الإرهاب الدولي فانه لم يخرج هذه الظاهرة من طابعها السلبي وبذلك فانه يطرح أمامنا مسالة معالجة الفجوة بين التفسير والتبرير أو بمعنى آخر معرفة ما إذا كان تقديم تفسيرات لتنظيم الدولة الإسلامية هو في نفس الوقت مطابق لتبرير نمطها السلوكي .

د- **تنظيم الدولة الإسلامية بين عقلانية القيم وعقلانية المصالح :** إن احد المعطيات الواقعية التي استند اليها مراجعة مفهوم العقلانية في حقل العلاقات الدولية هو ازدياد دور الفواعل غير النظامية فسلوك هذه الفواعل هو الذي أدى إلى مراجعة مفهوم عقلانية السلوك كما يطرحه النموذج المعرفي الوضعي ، وبالرغم من تلك المحولات التي قام بها بعض علماءالابستمولوجيا لحل هذا الإشكال على غرار فارتشي الذي حاول لان يثبت أن هذه الفواعل تفكر أيضا بطريقة عقلانية ولكن بنوع مختلف عن عقلانية الدول فعقلانية الدول هي عقلانية مصالح أما عقلانية هذه التنظيمات فهي عقلانية قيم .

« إذ يختلف مفهوم الرشادة بين الدول والفاعلين من غير الدول فرشادة صانع السياسة الخارجية في الدولة تعنى أن يسعى لتعظيم منافعها المادية المتوقعة من تفاعلاتها الدولية، بينما قد تنخرط التنظيمات الأيديولوجية المسلحة فى صراعات تضحى فيها بمنافع مادية من أجل منافع غير مادية، مثل المجد أو الثأر أو حتى الرضا عن الذات وبينما يمكن حساب المنافع والتكاليف المادية فى الصراعات الدولية، يصعب التنبؤ بسلوك لا يستند إلى حساب مادي ولذلك، يقترح (فارشى) التمييز بين رشادة القيم التي تعمل القوى المتصارعة على تعظيمها من جهة، ورشادة المصالح التي تستخدمها في الصراع من جهة أخرى» [2] ، إلا أن الإشكال لا يزال مستمرا وتزداد حدته عند معالجة تنظيم داعش فهذا التنظيم الذي يقدم نفسه كدولة – وهذا ظاهر من التسمية ولأهداف محددة كما سنفصلها لاحقا- خلق إشكالا يتعلق بالقيمة المنهجية للدلالتين المختلفين لمفهوم العقلانية في تحليل نمطه السلوكي . فهل نعالج ظاهرة داعش على أنها دولة تفكر بمنطق عقلانية المصالح ، أم نتعامل مع تنظيم الدولة الإسلامية على انه تنظيم مسلح يفكر بمنطق عقلانية القيم ؟.

هـ- **تنظيم الدولة الإسلامية بين النموذج الإدراكي السلبي والنموذج الإدراكي الايجابي :** فالنموذج الإدراكي هو من باب التعريف « صورة عقلية للعالم تشكل ما يمكن تسميته خريطة معرفية ينظر الإنسان من خلالها للواقع والنموذج الإدراكي لا يوجد جاهزا في الواقع فهو نتيجة عملية تجريدية عقلية مركبة إذ يقوم العقل بجمع بعض السمات من الواقع ويستبعد بعضها ويبقي البعض الآخر ، ثم يقوم بترتيبها حسب أهميتها ويركبها بل احيانا يضخمها بطريقة تجعل العلاقات تشكل ما يتصوره العلاقات الجوهرية في الواقع » [3] فمن شدة تأثر واقعنا العربي بالسياسات الأمريكية تشكل لدينا نموذج إدراكي سلبي مفاده أن بناء الواقع العربي السلبي هو باختصار صنيعة أمريكية .

---

3 معتز الخطيب . الاسلام والارهاب في الفكر الغربي : النماذج التفسيرية وخلفياتها. سلسلة كراسات علمية . ع 09. مكتبة الإسكندرية : وحدة الدراسات المستقبلية. 2012. ص 16

احمد علي سالم. عن الحرب والسلام: مراجعة لأدبيات الصراع الدولي. مجلة السياسة الدولية. ع 170. اكتوبر 2007. ص 115 [2]

عبد الوهاب المسيري . العالم من منظور غربي. سلسلة كتاب الهلال. ع 602. فبراير . 201. القاهرة : دار الهلال. ص 15 [3]

ويرتبط ذلك بإشكالية القيمة التحليلية لفكرة المؤامرة في الوعي العربي فالمعارضون لنظرية المؤامرة يتهمون الفريق المؤيد لها « بأنهم لا يملكون أدلة قاطعة وبراهين واقعية لتفسير ظواهر معينة من حولهم ولذلك كان لجوئهم لتحليل ما لا يمكن تفسيره بأنه مؤامرة وهم يعانون من أعراض البارانويا وهي الشعور بالاختناق والمحاصرة والتوهم وتفسر الأمور السيئة على انه مؤامرة وما هذا التفسير إلا عبارة عن ردة فعل الضعفاء العاجزة عن ربط ما يدور حولهم ربطا منطقيا ، أما المؤيدون لنظرية المؤامرة فيقولون بان المعارضون لها لم يقدموا تفسيرا علميا واحد لأحداث نعيشها وهل هي من قبيل الصدفة آم أن هناك مخططات مسبقة تم تنفيذها في الموعد المحدد لها وان المعارضين لنظرية المؤامرة لم يخرجوا عن التنظير الذي يصطدم مع الواقع الماثل أمامنا على الصعيد العربي والعالمي» . [1] .

وبذلك نجد أنفسنا أمام موقفين من نظرية المؤامرة أما الأول فهو موقف التهويل الذي « يصور المؤامرة على أنها عقدة محكمة يصعب فكها .. فما مر على المجتمعات الإسلامية من حالات متواصلة من أنواع الاعتداء ساعدت على هذه النظرة السلبية اتجاه الغرب ...أما الموقف الثاني فهو موقف التهوين فمع كثرة طرح مفهوم المؤامرة خشي بعض المفكرين العرب أن يفضي هذا النمط من التفكير إلى سلب الإرادة والقدرة على التفكير والتخطيط ومن ثم الاستسلام لوجود قوى تآمرية تقف في طريق أي محاولة للخروج من الأزمات فينتج عن ذلك شلل فكري فسعوا إلى مقاومة استخدام المصطلح والتعرية النقدية للمفهوم » . [2] وعلى ذلك فان المقاربات التفسيرية التي سيتم طرحها لاحقا لتنظيم الدولة الإسلامية لا تنفي اثر العوامل الخارجية في التأسيس لظاهرة داعش ولكنها لا تتوقف عندها بشكل قطعي وإنما تنفتح على وجهات نظر أخرى تخرجنا من النموذج الإدراكي السلبي الذي يربط الواقع السلبي العربي بالسياسات الأمريكية .

و- تنظيم الدولية الإسلامية بين أولوية الفاعل و أولوية السياق : فمن جهة لا يمكن إنكار دور المراجعات الفكرية داخل التنظيم الأصلي أي تنظيم القاعدة والذي توجه بطرح نسق فكري وعقيدي وسلوكي جديد يتبناه تنظيم الدولة الإسلامية وهذا يعني أن الأولوية في تفسير النمط السلوكي لهذا التنظيم يستوجب التركيز على هذا التنظيم كفاعل ، وفي المقابل فان التحولات الإستراتجية الجديدة التي عرفتها منطقة الشرق الأوسط قد انعكست بشكل كبير في اتجاه طرح ذلك النمط السلوكي الجديد لتنظيم الدولة الإسلامية وهذا يعطي قيمة أولية للسياق الإقليمي في فهم هذا النمط السلوكي.

ز- تنظيم الدولة الإسلامية بين التعمق المقصود والانتشار الأفقي : فالمعلوم أن التنظير يتطور بطريقتين إما التعمق المقصود أي أن الأطر التنظيرية السابقة يتم تعديلها لكي تستطيع استيعاب الظواهر والسلوكات الجديدة ، أو عن طريق الاتساع الأفقي حيث هناك ضرورة لبناء اطر تنظيرية جديدة ، وهذا الإشكال له معنى معمق عند معالجة موضوع تنظيم الدولة الإسلامية فهذا التنظيم في نسخته الحالية عرف تحولات على مستويات مختلفة يبرر لنا التساؤل عما إذا كانت هناك امكانية لتطوير الأطر التنظيرية السابقة لاستيعاب هذا النمط السلوكي الجديد ، أم أننا نحتاج إلى بناء اطر نظرية جديدة لتحقيق ذات الهدف.

المحور الثاني – القدرة التفسيرية للنماذج التقليدية في فهم ظاهرة تنظيم الدولة الإسلامية

---

[1] فاروق عمر العمر. المؤامرات : حقائق أم نظريات. مصر: مطابع الأهرام التجارية. 2007. ص ص 06- 10

[2] علي بن ابراهيم النملة. هاجس المؤامرة في الفكر العربي : بين التهوين والتهويل . الرياض . 2009. ص ص 99-109

نحتاج ابتداءا إلى أن نسجل الفرق بين الظاهرة الأصلية والظواهر المعبرة عن الظاهرة الأصلية فظاهرة الإرهاب الدولي هي شكل من أشكال النزاعات ولذلك فهي معبرة عن ظاهرة أصلية وهي الظاهرة النزاعية ، وهذا التفريق ينعكس على الأدوات المنهجية التي تناسب تحليل كلا المستويين فالظواهر الأصلية تحتاج في تفسيرها إلى توظيف النظريات الكبرى ، أما الظواهر المعبرة عن الظاهرة الأصلية فتحتاج في تفسيرها إما إلى نظريات متوسطة ا والى نماذج تفسيرية . وعلى هذا الأساس فقد طرحت مجموعة من النماذج التفسيرية لظاهرة الإرهاب الدولي كما هو معبر عنها في نشاط تنظيم القاعدة ، و يسعى الباحث في هذا الجزء من الدراسة إلى إثبات أن هذه النماذج تعجز إلى حد كبير عن تفسير النمط السلوكي لتنظيم الدولة الإسلامية وهذه النماذج هي :

النموذج الديني: هذا النموذج يقوم على فكرة منطق الربط بين مقومات العقيدة الإسلامية وبين ظاهرة الإرهاب الدولي ، أي أن النصوص الإسلامية في حد ذاتها معادية للديانات الأخرى وهو ما يشكل من وجهة نظر هذا النموذج نسقا عقيديا جاهزا لتبرير السلوك الإرهابي ، فبرنارد لويس على سبيل المثال يقول« أن معظم المسلمين ليسوا أصوليين ، ومعظم الأصوليين ليسوا إرهابيين ، ولكن معظم إرهابيي اليوم هم مسلمون وهم يعرفون أنفسهم بفخر على أنهم كذلك ، ويتذمر المسلمون – وهو أمر مفهوم – عندما يتحدث الإعلام عن الحركات الإرهابية والأعمال الإرهابية باعتبارها إسلامية ويتساءل عن السبب في عدم تعريف الإعلام للإرهابيين الايرلنديين وإلباسك والإرهاب الذي يمارسونه على انه مسيحي والإجابة ببساطة هي انه هؤلاء لا يصفون أنفسهم بأنهم كذلك ، ويوجد في الوقت الحاضر عدة أشكال للتيارات الإسلامية المتطرفة وكل هذه التيارات هي بمعنى من المعاني إسلامية ،وجميع هذه الجماعات المختلفة المتطرفة تضفي قدسية على أعمالها عبر إشارات ورعة إلى نصوص إسلامية ومع ذلك فإنهم انتقائيون لدرجة كبيرة في اختيارهم وتفسيرهم للنصوص المقدسة ، وفي نفس الوقت فان هناك مشكلة أكثر إلحاحا فبإمكان قادة القاعدة أن يقنعوا عالم الإسلام بقبول وجهات نظرهم وقيادتهم وعندها فسيكون أمامنا صراع طويل ومرير ، وإذا كان الأصوليون على صواب في حساباتهم وانتصروا في حربهم فان مستقبلا مظلما ينتظر العالم» [1].

النموذج الثقافي : هذا النموذج يرى بان ظاهرة الارهاب الدولي تعكس بتعبير تيري مونتي انزعاج ثقافي للعالم الإسلامي اتجاه الحداثة الغربية [2] وفي ذات السياق يرى برنارد لويس انه « في البداية كانت استجابة المسلمين للحضارة الغربية نوعا من الإعجاب والمحاكاة: احترام كبير لانجازات الغرب ورغبة في تقليدها وتبنيها ، وهذه الرغبة نبعت من الإدراك الحاد والمتنامي بضعف وفقر وتخلف العالم الإسلامي مقارنة بالغرب المتقدم والتفاوت ظهر أولا في ميدان الحرب إلا انه سرعان ما انتشر إلى بقية النشاطات الإنسانية ، أما في وقتنا الراهن فقد أعطيت حالة الإعجاب والمحاكاة نوعا من الرفض والعدائية و يمكن التأكيد إلى حد ما إن هذه العدائية نتجت عن شعور بالإذلال والإدراك المتنامي بين وارثي حضارة عريقة وفخورة وطالما كانت مهيمنة بأنهم سبقوا من قبل أولئك الذين طالما اعتبروهم مرؤوسيهم .. ...وهناك أيضا صراع الأصوليين ضد عدوين : العلمانية والحداثة والحرب ضد العلمانية

---

8 برنارد لويس. أزمة الإسلام. ترجمة زهير سالم. (لندن : مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتجية . متاح على شبكة الانترنيت: http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/m_kutob.htm

[2] معتز الخطيب. النماذج التفسيرية. مرجع سابق. ص 33

هي حرب متعمدة وصريحة حيث تنسب العلمانية بصيغ مختلفة إلى اليهود والغرب والولايات المتحدة .أما الحرب ضد الحداثة فهي في غالبيته ليست واضحة وليست صريحة وهي موجهة ضد كل ذلك التغيير الذي أصاب العالم الإسلامي في القرن الماضي والحق الأذى بالبنيات الأساسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية للبلدان الإسلامية ، و يجب أن يكون واضحا ألان أننا نواجه تيارا وحركة تتجاوزان بكثير مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تلاحقهما وان هذا ليس شيئا اقل من صراع للحضارات انه رد فعل – ربما غير عقلاني – ولكنه تاريخي لمنافس قديم موجه ضد ميراثنا اليهودي والمسيحي ، وضد حاضرنا الراهن وضد امتدادهما العالمي» .[1]

فالإرهاب وفقا لهذا النموذج يعكس الاعتبارات الثقافية بالدرجة الأولى أي تلك التي تتمحور حول إثبات الهوية اتجاه الأخر وفي هذا السياق يرى فرانسيس فوكوياما « أن الإسلامية وفروعها الراديكالية الجهادية هي منتج ما يسمى الإسلام المنتزع من المحلية ، الإسلام الذي يجد فيه المسلمون الأفراد أنفسهم معزولين عن التقاليد المحلية الأصيلة ، وبوصفهم في الغالب أقليات مجتثة الجذور في أراض غير إسلامية ، ومضمون هذا الرأي هو أننا حاليا غير مشتبكين في ما يبدو مثل صراع الحضارات بل نحن بالأحرى في شيء يبدو مألوفا كثيرا من خبرة القرن العشرين . إن اخطر الناس ليسوا المسلمين الأتقياء في الشرق الأوسط ، بل هم الشباب المعزولون والمستأصلون من جذورهم في هامبورغ أو لندن أو أمستردام الذين يرون الإيديولوجية بوصفها الجواب لبحثهم الشخصي عن الهوية» .[2]

النموذج الاستراتيجي : هذا النموذج يرى بان ظاهرة الإرهاب الدولي هي محاولة لتقديم تحدي جيواستراتجي اتجاه العالم الغربي ويبرر غراهام فولر وايان ليسر ذلك من حيث انه « بات مألوفا بعد نهاية الحرب البادرة الدفع بالقول بان الصراع الحضاري العالمي المقبل سيكون بين الإسلام والغرب ، ويأتي هذا الدفع تأسيسا على اعتقاد بأنه لابد كضرورة مطلقة أن يظهر فيما بعد مذهب ما يتخذ موقف التحدي من المجتمعات الغربية وهذا القول ليس عاريا تماما من أي أسباب تبرره، ذلك أن القوة الرمزية والواقعية التي يمثلها الغرب – والولايات المتحدة بصفة خاصة – على الساحات الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية هي قوة مهولة اقتحامية وان حضور الغرب على الصعيد العالمي لابد ، وبحكم هذا التعريف أن يولد نوعا من الاستجابة المعاكسة أو المضادة »[3].

النموذج السياسي : هذا النموذج يرى أن الإرهاب يعكس عدم التوازن في العلاقات السياسية بين الغرب وخاصة السياسات الأمريكية وبين العالم الإسلامي أي أن الإرهاب وفقا لهذا النموذج هو انعكاس للظلم الذي تتعرض له باستمرار قضايا المسلمين وخاصة القضية الفلسطينية « ويدل التفسير السياسي للإرهاب على أن مسببه الوحيد والحصري هو المعاناة السياسية والظلم ويبرز الغرب هنا كمتهم أول بدءا من الاستعمار الذي قسم العالم العربي بما يتلاءم والمصالح الغربية وتعويقه لمشاريع

10 برنارد لويس. جذور السخط الإسلامي . في ادوار سعيد . برنارد لويس. الإسلام الأصولي في وسائل الاعلام الغربية. بيروت : دار الجيل. 1994. ص ص 27- 31

11 انظر: فرانسيس فوكوياما . أمريكا في مفترق الطرق : ما بعد المحافظين الجدد. ترجمة محمد محمود التوبة . الرياض : مكتبة العبيكان . . ص 2007104

12 جراهام فولر . أيان ليسر . الإسلام والغرب : بين التعاون والمواجهة . ترجمة شوقي جلال . القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر . 2002. ص 11 [3]

التنمية والنهوض السياسي والاقتصادي واستغلاله ثروات المنطقة لتعزيز نموه الخاص ... وهكذا يبدو الأمريكيون كامتداد للاستعمار البريطاني والفرنسي وفي قل كل ذلك تأتي فلسطين إذ يبدو الغرب وأمريكا المسئولين الأوائل عن القتل والتشريد والإذلال المستمر الذي يتعرض له الفلسطينيون »[1].

ومن وجهة نظرنا فان كل هذه النماذج تبدو عاجزة إلى حد كبير عن استيعاب تنظيم الدولة الإسلامية في نسخته الحالية وذلك للاعتبارات التالية:

1- أن خطاب التقسيم الذي كان يتبناه تنظيم القاعدة بين دار الإيمان ودار الكفر لا يوجد في الخطاب الرسمي لتنظيم الدولة الإسلامية فضلا على أن هذا التنظيم يعتبر أن عدوه الأول موجود داخل الدين الإسلامي نفسه أي الإسلام الشيعي وهو ما يبرر ضعف القدرة التفسيرية للنموذج الديني .

2- أن تنظيم الدولة الإسلامية استطاع اختراق الإنسان الغربي الذي نشا على أسس الحادثة الغربية وتجنيده على نطاق واسع « ففي دراسة أخيرة للمركز البريطاني لمكافحة التطرف – كويليام- بعنوان الدولة الإسلامية : الوجه المتغير للجهادية الحديثة – تم تقديم معطيات كمية حول عدد الغربيين المنتمين لتنظيم الدولة الإسلامية فهناك 500 بريطاني ، و 700 فرنسي، و400 ألماني ، و300 بلجيكي ، و150 هولندي ، و100 أمريكي ، و800 روسي وبصورة عامة فقد استطاع التنظيم تجنيد مقاتلين من 45 دولة »[2].

وفي فرنسا يحاول اليمين المتطرف استغلال هذا الوضع لتبرير سياساته العدائية اتجاه المواطنين من أصول غير فرنسية ، وقد وجه ذلك بحملة إعلامية مضادة مفادها أن المجندين في تنظيم الدولة الإسلامية هم فعلا من الفرنسيين فنجاح التنظيم في اختراق الإنسان الغربي وتجنيده على نطاق يعد مؤشر قوي على ضعف النموذج الثقافي لاستيعاب تنظيم الدولة الإسلامية على أساس أن هذا النموذج يفسر الإرهاب الدولي باعتباره انزعاج ثقافي اتجاه العالم الغربي.

3- ثم إن النموذج الاستراتجي أيضا يعجز عن تفسير ظاهرة داعش والمؤشر الأساسي في هذا السياق هو أن تنظيم الدولة الإسلامية لم يسعى إلى خلق أي فضاءات جديدة اتجاه القوى الغربية ويحصر كل نشاطه في السياق الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط وبذلك فهو لا يحدد التحدي الاستراتجي للعالم الغربي كهدف مركزي.

4- وحتى النموذج السياسي يبدو عاجزا عن تفسير النمط السلوكي الجديد لتنظيم الدولة الإسلامية ، فالخطاب الرسمي للتنظيم يعلن بشكل صريح أن القضية الفلسطينية ليست من أولوياته ، ثم أن جغرافيا النزاع في منطقة الشام أتاحت لتنظيم الدولة الإسلامية التواجد في منطقة الجولان ولم ذلك لم نشهد أي استهداف لعناصر الجيش الإسرائيلي ولو بشكل استعراضي .

المحور الثالث: محددات القطيعة بين تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية

إذا كانت النماذج التفسيرية السابقة قد تم تطويرها لتفسير ظاهرة الإرهاب الدولي كما تم تجسيدها في نشاط تنظيم القاعدة عاجزة عن استيعاب تنظيم الدولة الإسلامية في صورته الحالية فهنا يبدو من المبرر البحث عن محددات القطيعة

[1] معتز الخطيب. مرجع سابق. ص 45

[2] عن موقع قناة العربية www.alarabiya.net. بتاريخ 11 نوفمبر 2014

بين التنظيمين ، هذه المحددات تنتشر على مستويات مختلفة والتي يمكن تلمسها من خلال : [1]

أولا- المحدد ثقافي : فتنظيم القاعدة كان يعتبر أن العدو الأول هو الحضارة الغربية والتي يدركها باعتباره تهديدا للوجود الإسلامي في حد ذاته وخاصة ما تعلق بالسياسات الأمريكية ، وهذا ما كان يتبناه تنظيم داعش بنسخته القديمة ، أما تنظيم داعش الجديد فيرى أن العدو موجود داخل الحضارة الإسلامية نفسها وتحديدا الإسلام الشيعي الذي يعتبره اخطر على الوجود الإسلامي من الحضارة الغربية نفسها وهذا بقدر ما يرتبط بجوانب إستراتجية فانه يعكس تحول ثقافي عميق في هذا التنظيم .

ثانيا – المحدد مؤسسي : فتنظيم داعش سابقا كان يعتمد طابعا مؤسسا يعتمد شكل تنظيم مسلح ، أما في الوقت الحالي فان تنظيم داعش يصر على تعريف نفسه باعتباره دولة قائمة الأركان سواء من حيث رفع شعار الخلافة أو من حيث الحرص على الاستيلاء على اكبر قدر من المساحات داخل الدول التي يوجد بها .

ثالثا- المحدد سلوكي : فتنظيم داعش الذي كان يعلن ولاءه لتنظيم القاعدة كان يحرص على تعريف نفسه باعتباره فاعلا نزاعيا غير نظامي يتبنى ما يسمى في علم النزاعات بإستراتجية النزاعات اللاتماثلية أي تلك التي تقوم بين جيوش نظامية وبين فواعل غير نظامية أما السلوك النزاعي لتنظيم داعش الحالي هو اقرب لسلوك الجيوش النظامية فهو يتصرف باعتباره جيشا نظاميا لدولة وليس باعتباره فاعلا غير نظامي .

إن هذه التحولات تبرر في جانب أساسي منها كانعكاس لمجموعة التحولات الإستراتجية التي حدثت في منطقة الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة وتتمثل هذه التحولات في ما يلي :

أ- الصعود الشيعي : المرتبط بالإستراتجية الإقليمية الجديدة لإيران والتي هدفت ابتداء إلى ملا الفراغ الاستراتجي الذي خلفه الانسحاب الأمريكي من العراق ثم تم التمدد في أهداف هذه الإستراتجية إلى أن أصبحت أكثر من دولة خاضعة للنفوذ الإيراني [2] . والملاحظ أن التكيف الاستراتيجي لإيران مع الثورات العربية قد كان في أقصى درجات الايجابية حيث تم التمدد بالنفوذ الناعم اتجاه الأوضاع الجديدة داخل دول الثورات .

ب- التراجع الأمريكي : وهو المرتبط بالإستراتجية الجديدة للولايات المتحدة اتجاه منطقة الشرق الأوسط في فترة باراك اوباما فهذه الإستراتجية بنيت على أساس النتائج الكارثية لحرب العراق ومن المعالم الأساسية لهذه الإستراتجية هو تفعيل مبدأ القيادة من الخلف والذي يجعل الولايات المتحدة تتعامل مع قضايا الشرق الأوسط بشكل غير مباشر أي عن طريق دعم الأطراف المحلية .

ج- الثورات العربية : والتي أدت انتشار حالة الفشل في أكثر من دولة عربية وبغض النظر عن العوامل المؤثرة في هذا الحراك الثوري العربي فان نتائجه الأساسية تشير إلى استنساخ لتجارب دول فاشلة والدولة الفاشلة من باب التعريف هي الدولة « التي تفشل في حماية الظروف المدنية الأساسية داخليا فتكون متناقضة مع جملة المسوغات المعيارية المألوفة لوجود كيان الدولة ذات

---

[1] . 17 أكتوبر 2014. ص 16 حسين بلخيرات. هل نحن أمام ظاهرة إرهابية جديدة؟. جريدة الخبر. ع 7576

15 للاطلاع على تفاصيل أكثر حول هذه الإستراتجية يمكن مراجعة :

Nicolas pelham. Anew muslim order: The shia and the middel east sectarian crisis. 2008

السيادة ... أي انه دول مدمرة ذاتيا بفعل الفوضى المسلحة داخليا » [1] . أو هي بتعبير روبرت كوبر انعكاس لحالة الأمن في عالم ما قبل الحداثة حيث الوضع الطبيعي هو وضع الفوضى الشاملة [2]. أي أنها الدولة التي تكسر فيها قاعدة الاحتكار الشرعي لممارسة العنف من طرف جهة مركزية حسب تعريف ماكس فيبر لمفهوم الدولة .

المحور الرابع : دلالات المقاربات التفسيرية لتنظيم الدولة الإسلامية

لا يزال النمط السلوكي لتنظيم الدولة الإسلامية حدثا جديدا ولذالك يمكن اللجوء إلى تفسيره ارتباطا بمجموعة من المقاربات كل واحدة منه تحاول الاقتراب من تنظيم الدولة من زاوية محددة والملاحظ أن هذه المقاربات تختلف في طبيعتها كما تختلف في سياقها التاثيري : [3]

المقاربة الثقافية : تعتبر أن تنظيم داعش هو رد طبيعي على الاضطهاد الذي يتعرض له أهل السنة بالعراق بمعنى أن فشل السياسيين السنة وحتى قيادات العشائر في حماية الحقوق السنية جعل سنة العراق يتقبلون وجود هذا التنظيم باعتباره الأقدر على حمايتهم من الاضطهاد الشيعي والدليل أن المركز الأساسي لهذا التنظيم موجود في المحافظات السنية الكبرى ، والملاحظ على هذه المقاربة أنها مقاربة محلية بمعنى أنها تربط تواجد تنظيم داعش بالصراع الشيعي السني الذي يتركز في منطقة محددة بمعنى انه لا يمكن لتنظيم داعش أن يتواجد في دولة ما إلا إذا كانت هذه الدولة تعرف صراعا شيعيا سنيا . فما يحدث في سورية معرف في إدراك تنظيم الدولة الإسلامية على انه تصفية مقصودة من النظام العلوي الشيعي في سوريا اتجاه أهل السنة هناك كما أن بداية ظهور التنظيم في الأراضي اللبنانية في الحدود مع الدولة السورية هو دليل إضافي على أن هذا التنظيم لا يتواجد إلا في المناطق التي تعرف صراعا سنيا – شيعيا .

المقاربة الأمنية: والتي تؤكد أن تنظيم داعش هو تجسيد لتطور الظاهرة الإرهابية في حد ذاتها بحيث تم نقل النشاط الإرهابي من طابعه السري كما كان مجسدا في نشاطات تنظيم القاعدة والذي كان تواجهه أجهزة الاستخبارات إلى الطابع العلني الذي يصطدم مباشرة مع الجيوش مع توفر قدرة فائقة على استغلال الفوضى الناتجة عن فشل الدول بمعنى أن تنظيم داعش لا يمكن أن يتواجد في دولة ما إلا بعد ثبوت حالة الفشل في هذه الدولة ، والتعريف الأمني للدولة الفاشلة يرى بأنها الدولة التي تكسر فيها قاعدة الاحتكار الشرعي لممارسة القوة من طرف السلطة المركزية بمعنى توفر سياق يجعل أكثر من طرف يمارس السلوك العنيف ، وهذه المقاربة هي مقاربة عالمية لأنها لا تربط تواجد تنظيم داعش بسياق ثقافي معين ولكن بالقدرة على استغلال حالة الفشل التي قد تتعرض لها الكثير من الدول .

المقاربة التنظيمية : وهي المقاربة التي تعتبر أن تنظيم داعش هو نتاج المراجعات المختلفة داخل التنظيم الأصلي أي تنظيم القاعدة بحيث توجت هذه المراجعات ببناء خط تنظيمي جديد يعيد ترتيب أولويات النشاط ، ويظهر ذلك من خلال المقارنة بين تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية فالاختلاف المركزي بين هذين التنظيمين حسب هذه المقاربة يتعلق بفكرة مأسسة التواجد فتنظيم القاعدة يفضل عدم مأسسة تواجده لان سلوكه

16 روبرت جاكسون. ميثاق العولمة.: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول . ترجمة فاضل جتكر . الرياض : منشورات مكتبة العبيكان. 2003. ص 533

17 روبرت كوبر . تحطم الامم : النظام والفوضى في القرن الحادي والعشرين. ترجمة زهير السمهوري. الرياض كمكتبة العبيكان.2004. ص 45

[3] حسين بلخيرات. تنظيم واحد وتفسيرات متعددة. جريدة الخبر. ع . 7541. 12 سبتمبر 2014

النزاعي يقوم على ما يسمى في علم النزاعات بالنزاعات اللاتماثلية والتي تعتبر أن كل مناطق العالم هي مسرح للنزاع بمعنى أينما توفرت إمكانية لاستهداف مصالح الدول الغربية فذلك هو حيز النزاع ، أما تنظيم داعش فيعتبر أن إقامة دولة مركزية هو قاعدة أساسية للنشاط لان ذلك يساعد على تحديد أهداف إستراتجية مضبوطة وهذه المقاربة تجمع بين الطابع المحلي والطابع العالمي لان مأسسة التواجد لا يمكن أن تكون خارج سياق محلي معين ، لكن النشاط يخضع لقاعدة التمدد لسياقات أوسع . فمثلما توجد دولة دينية في إيران تقوم على دعم التشيع في الكثير من دول العالم فان المطلوب هو إقامة دولة دينية سنية تقوم بدعم أهل السنة في كل مكان .

خاتمة : مستقبل تنظيم الدولة الإسلامية

إن محاولة البحث في مستقل تنظيم الدولة الإسلامية مرتبط بالفصل في طبيعة الإطار المقارن للمقاربات السابقة ومن وجهة نظر الباحث فانه لا يجب النظر إلى تلك المقاربات في صورة المرايا المتعاكسة أي باعتبارها بدائل لبعضها البعض ولكن باعتبارها تحمل نسقا تكامليا ، ، وفي هذه الحالة لا يمكن تصور مستقبل تنظيم الدولة الإسلامية إلا في إطار مشروع التقسيم لان المقاربة الثقافية توحي باستحالة التعايش السني – الشيعي إضافة إلى فتح جبهة صراع مستديم مع الوجود الكردي ، كما أن المقاربة الأمنية توحي بان دول الثورات دخلت مرحلة من الفشل لا يمكن إيقاف مساره والوضع الطبيعي في هذه الحالة أن يتم التفكير في دول بديلة ولو على أساس فرعي ، أما المقاربة التنظيمية فهي تبرز انتقال منطق التفكير لتنظيم الدولة الإسلامية من منطق التنظيم إلى منطق الدولة وهذا يعني الإصرار على إنشاء كيان سيادي بغض النظر عن الفضاء الجغرافي المتاح .